

## العلاقة بين أبي تمام والبحتري بين الوهم والحقيقة

م. د. وسام علي محمد الخالدي  
كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

### ملخص بحث

ولما كانت العرب والعراق بلد الشعر والشعراء ولها الفضل في إغجاب أكبر شعراء العربية أبو تمام والبحتري شاعران عريان طائيان ( عباسيان ) اضافة للقصيدة العربية ملامح جديدة . وقد شغلت صحبتها أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشاعرين سيجد أن حياة أبي تمام تتميز عن حياة البحتري على الرغم من عيشهما في عصر واحد.

إن العلاقة بين الشاعرين لم تكن موضع عناية الباحثين . بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين لذا فإن هذه الدراسة أخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي ( ت : ٣٣٥ هـ ) هو أول من أشار إليها في كتابه ( أخبار أبي تمام ) و ( أخبار البحتري ) . وجاء بعده الاصبهاني ( ت : ٣٥٦ هـ ) . ثم الهمدي ( ت : ٣٧٠ هـ ) وبعدهم الحصري ( ت : ٤٥٣ هـ ) وابن رشيق القيرواني ( ت : ٤٥٦ هـ ) . لذا فإن جمع اشتات هذه الروايات واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين . وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:

الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو الزمني منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالأحدث.

أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا ومتنا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها . وإن كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشتهر (١) . واحمد أحمد بدوي (٢) . د. شوقي ضيف (٣) . د. خلف رشيد نعمان (٤) . د. عمر فاروق الطباع (٥) . وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة ) البحتري لأبي تمام وتلمذه على يديه . وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهبت هذه

الدراسة إلى حقيقة مغايرة. تشكك بصحة الصحبة والوصية ألا ان ديونس أحمد السامرائي (٦) قد خالفهم في الرأي إذ ذهب الى ان الغموض كان يكتنف لقاء البحتري بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لأبي تمام للبحتري ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في المحاور القادمة .

### المقدمة

أبو تمام والبحتري شاعران عريان طائيان ( عباسيان ) اضافة للقصيدة العربية ملامح جديدة . وقد شغلت صحبتها أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشاعرين سيجد أن حياة أبي تمام تتميز عن حياة البحتري على الرغم من عيشهما في عصر واحد.

إن العلاقة بين الشاعرين لم تكن موضع عناية الباحثين . بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين لذا فإن هذه الدراسة أخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي ( ت : ٣٣٥ هـ ) هو أول من أشار إليها في كتابه ( أخبار أبي تمام ) و ( أخبار البحتري ) . وجاء بعده الاصبهاني ( ت : ٣٥٦ هـ ) . ثم الهمدي ( ت : ٣٧٠ هـ ) وبعدهم الحصري ( ت : ٤٥٣ هـ ) وابن رشيق القيرواني ( ت : ٤٥٦ هـ ) . لذا فإن جمع اشتات هذه الروايات واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين . وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:

الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو الزمني منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالأحدث.

أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا ومتنا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها . وإن كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت

٢- روايات أبي الفرج الاصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) :

أورد ثلاث روايات:

- الرواية الأولى : «حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس النوبختي، عن البحتري، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال: أول ما رأيت أبا تمام أنني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أفأق صب من هوى فأفأقا      أو خان عهداً أو أطاع شفيقاً؟  
فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبته ركبته، فأقبل علي ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحله، وتنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقاً تقول! قال: نعم، وإنما علقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل علي أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أن سخت في الأرض، فقممت منكسر البال أجز رجلي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل علي الرجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قط، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائفة إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمني إليه، وعانقني، وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت» (١٠)

- الرواية الثانية : «حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألويسي، عن علي بن يوسف، عن البحتري: قال:

كان أول أمر في الشعر ونباهتي أنني صرت إلى أبي تمام، وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل علي، وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحنق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته، وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: « يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته - شاعر، فأكرموه» (١٠)

الرواية الثالثة: «وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطرلي: أن البحتري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فالتقى عنده أبا تمام

الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشتر(١)، واحمد أحمد بدوي(٢)، د. شوقي ضيف(٣)، د. خلف رشيد نعمان(٤)، د. عمر فاروق الطباع(٥)، وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة) البحتري لأبي تمام وتلمذه على يديه، وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهبت هذه الدراسة إلى حقيقة مغايرة، تشكك بصحة الصحبة والوصية ألا ان ديونس أحمد السامرائي(٦) قد خالفهم في الرأي إذ ذهب الى ان الغموض كان يكتنف لقاء البحتري بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لأبي تمام للبحتري ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في المحاور القادمة .

### المحور الأول : عرض الروايات:

١- روايتا الصولي (ت: ٣٣٥) أورد روايتين هما :-

الرواية الأولى : «حدثني أبو الحسن علي بن إسماعيل قال، قال لي البحتري: أول ما رأيت أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها، أنني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها:

أفأق صب من هوى فأفأقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقاً؟  
فأنشدته إياها، فلما أتمتها سر أبو سعيد بها وقال: أحسن الله إليك يا فتى، فقال له رجل في المجلس: هذا - أعزك الله - شعر لي، علقه هذا فسبقني به إليك، فتغير وجه أبي سعيد وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعر لي أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا، ثم ابتداء فأنشد من القصيدة أبيتاً، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلي ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه، فقممت إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك، فلزمته بعد ذلك وكثر عجبني من سرعة حفظه» (٧)

الرواية الثانية: «حدثني سوار بن أبي شراعة قال، حدثني البحتري قال: كان أول أمر في الشعر، ونباهتي فيه، أنني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب لي إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحنق، وقال: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

حدثني أبو عبد الله العباس بن عبد الرحيم الألويسي قال، حدثني جماعة من أهل معرة النعمان قال: ورد علينا كتاب أبي تمام للبحتري: يصل كتابي على يد الوليد بن عبادة، وهو على بذاذته شاعر فأكرموه» (٨)

٤- رواية أبي اسحاق بن علي الحصري (ت: ٤٥٣هـ)

وصية أبي تمام للبحري:

«وقال الوليد بن عبيد البحتري: كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرْوَمُ الشَّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفْ عَلَى تَسْهِيلِ مَآخِذِهِ. وَوَجْهُهُ اقْتَضَاهُ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ، وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ. وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ: فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي: يَا أَبَا عُبَادَةَ: تَخْبِرُ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ، صَفَرٌ مِنَ الْغُمُومِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيلِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ: وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ. وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ. وَإِنْ أُرِدْتَ التَّشْبِيهَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا. وَالْمَعْنَى رَفِيقًا. وَأَكْثَرُ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ. وَتَوَجُّعِ الْكَأَبَةِ. وَقَلَقِ الْأَشْوَاقِ. وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ. فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي إِيَادٍ فَأَشْهَرِ مَنَاقِبَهُ. وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ. وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ. وَشَرَّفْ مَقَامَهُ: وَتَضَيِّعِ الْمَعَانِي. وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينِ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّبِيعَةِ. وَلَتَكُنْ كَأَنَّكَ خَيْطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَابِيرِ الْأَجْسَادِ. وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَارْحُ نَفْسَكَ. وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ. وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيعَةَ إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ: فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعْمَ الْمَعِينُ. وَجَمَلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شَعْرِ الْمَاضِينَ. فَمَا اسْتَخَسَّنَ الْعُلَمَاءُ فَاقْصِدْهُ. وَمَا تَرَكَوه فَاجْتَنِبْهُ. تَرَشَّدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ(١٥)»

### المحور الثاني - نقد الروايات:

أ- نقد سند الروايات :

ما تقدم يتضح أمامنا أربع روايات أقدمها كانت رواية الصولي ثم الاصبهاني ثم الامدي ثم الحصري . وهذه الروايات تدور حول علاقة البحتري بابي تمام . وقد اختلفت اسانيد تلك الروايات . وإن اعتماد الصولي في (الرواية الأولى ) على راو غير معروف هو ( أبو الحسن علي بن إسماعيل ) قد أضعف حقيقة صحة البحتري لابي تمام . وكذلك سند الاصبهاني في ( روايته الأولى ) الذي اعتمد على اسم مجهول هو ( عمر ) . وينضم إليهما الامدي براو مجهول هو ( ابا الوضاح ) الذي اكتفى بكنيته . وهذا الأمر من شأنه أن يضعف تلك الروايات لاعتمادها على رواة مجهولي الهوية.

ب - نقد متن الروايات:

إذا كان المنطق اختلاف اسانيد الروايات بما يتبعه اختلاف محتويات المتن فانه ليس من المنطق في شيء أن يختلف مضمون الرواية فتعدد الرواة لها ينبغي أن يصب في تأكيد مضمونها الواحد لا أن يكون تعدد الروايات سبباً لتعدد المضمون وهذا ما يضعف الروايات المختلفة لعدم اتفاقها على رواية الحدث وهو واحد.

وإذا كنا نقر اختلاف سند رواية الصولي مع سند الاصبهاني لاسيما في الرواية الأولى . فان اختلاف متن الرواية أمر طبيعي . فلم يتفق الصولي والاصبهاني في نقطة عليها تكون فيصلا في الحكم على هذه العلاقة ألا وهي معرفة الرجلين بعضهما

وقد أنشده قصيدة له فيه . فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن. فقال له: يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تاذن ويستمع. فقام. فأنشده إياها. وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام. فممن أنت؟ قال: من طيى. فطرب أبو تمام وقال: من طيى: الحمد لله على ذلك. لوددت أن كل طائفة تلد مثلك. وقبل بين عينيه. وضمه إليه وقال محمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي. فأمر محمد بها. فضمت إلى مثلها. ودفعت إلى البحتري. وأعطى أبا تمام مثلها. وخص به. وكان مداحاً له طول أيامه ولابنة بعده(١١)

الرواية الرابعة : «حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري: قال: حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلاً فيما مدحتهم به. فأنشدني شيئاً منه. فأنشدته بعض ما قلته فيهم. فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا. فقال: ظلموك. والله ما وفوك حقك. فلم استكثر ما دفعوه إليك؟ والله لبيت منها خير مما أخذت. ثم أطرق قليلاً. ثم قال: لعمري لقد استكثر ذلك. واستكثر ذلك. واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام. وغاضت المكارم. فكسدت سوق الأدب. أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي. فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه. وقلت له: والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي ما وصل إلي من القوم(١٢)»

٣- رواية الامدي(ت: ٣٧٠هـ) :

- الرواية الأولى : «ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد دخل إليه البحتري بقصيدته التي أولها:

أفأنا صب من هوى فأفينا؟

وأبو تمام حاضر. فلما أنشدها علق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها. فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير ما ظننت أحداً يقدم على أن يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم. ثم اندفع ينشد ما حفظه. حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة. فبهت البحتري. ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف. فحينئذ قال له أبو تمام: أيها الأمير. والله ما الشعر إلا له. وإنه أحسن فيه الإحسان كله. وأقبل يقرظه ويصف معانيه. ويذكر محاسنه. ثم جعل يفخر باليمن. وأنهم ينبوع الشعر. ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحتري الجائزة(١٣)

- الرواية الثانية: «وقد أخبرني أنا رجل من أهل الجزيرة - ويكنى أبا الوضاح. وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما - أن القصيدة التي سمعها أبو تمام من البحتري عند محمد ابن يوسف وكان أول اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التي أولها: فيم ابتدار كما للملام ولوعا؟(١٤)

يحمل البحترى رسالة إلى قوم لم يعرفهم من قبل تتضمن إشارة إلى (بذاته) وهي صادرة عن شاعر هو المثل الأعلى له في الصحبة والأدب كما يزعمون.

فانطوت هذه (الوساطة) على اساءة للبحترى بمدح زائف لشاعريته وإذا كان البحترى يمتلك هذه الشاعرية وتلك الموهبة لما لا يستطيع أن يظهر بمظهر يبعده عن البذاءة وهو يجالس الامراء والخلفاء والقادة ويقصد قصورهم . فان اضطراب هذه الرسالة وتناقض مضامينها ربما تكون أحد أسباب الشك فيها. أما رواية الاصبهاني (الثالثة) فلم يشر إليها الصولي إلى جانب تلك الروايتين. ويتضح من خلالها التباين والتضارب عما سبقها من الروايات التي اظهرت الشاعرين وهما يتنازعا في مجلس (محمد بن يوسف الثغري) على قصيدة . فان هذه الرواية تظهر ابا تمام . وهو فرح بانشاد البحترى في ذلك المجلس . كما أن إجابات البحترى في هذه الرواية تنم عن تحدي لابي تمام حينما قال للأمير: (( تاذن ويستمع )) (٨). ويقصد بأذن الأمير ويستمع أبو تمام.

ويبدو أن أغلب الروايات التي يرويها (الاصبهاني) عن تلك الصحبة لا تخلو من عنصر المبالغة والتكلف لاسيما في روايته (الرابعة) فإن تقبيل (الارجل) لم يعرف له جذر في التراث العربي الإسلامي . فإذا كان البحترى ينزل إلى هذه الدرجة من الهوان أو التواضع فكيف يرتضي أبو تمام على هذا الفعل؟! فان آدابه تتعارض وهذا الفعل.

وان ما قاله أبو تمام للبحترى ((أنت والله يا بني أمير الشعراء إذا بعدي)) (٩). يؤكد اعتراف ابي تمام بالبحترى واستحسانه لشعره الذي يمثل مدرسة جديدة مخالفة لمدرسته . فهل بعقل أن يناصر أبو تمام من يخالفه ويذهب مذهبا غير مذهبه في الشعر؟!.

إن عدم الأخذ بالروايات المتناقضة يقوم على أساس علمي - كما أزعج - يتمثل في أن تلك الروايات مقتضبة وتفتقر إلى الدقة والتحديد . ولم تجب على سؤال متى . وأين ؟ ولعل اهتمام الرواة بهذه الصحبة بين أبي تمام والبحترى قد جاء استجابة لرغبة في إظهار العصر العباسي بمظهر جديد يخالف ما الفتة الذهنية العربية وما شهده العصر الأموي من منازعات ومناقضات ومنافرات كالتى كانت بين جرير والفرزدق مثلا . فبدل ( المناقضات ) في ذلك العصر جاءت ( التوافقات ) بين شاعرين وهو توافق من نسج خيال الرواة فلكل منها منهجه ورؤاه ومنحاه (١٠).

وإذا كنا قد أيقنا بوجود ( المناقضات ) بين جرير والفرزدق التي عجت بها كتب الأدب . فان الشعر كان هو الوثيقة التي جسدت تلك النقائض . والحال مختلفة في صحبة البحترى لابي تمام. فقد صمت الشعر ولم ينطق أي ديوان شعري في تلك الحقبة عن تلك الصحبة أو التلمذة بما في ذلك ديوان الشاعرين أنفسهم . ويرى د. يونس السامرائي (( إن العلاقة بينهما لم تصل الى علاقة الطالب باللاستاذ . وان كل مافي الامر - اذا صح - انهما اجتمعا وتعارفا وفرض كل منهما الآخر . وبقي

لبعض . فرواية الصولي تشير إلى عدم معرفة البحترى لابي تمام وهما في مجلس ابن سعيد الثغري الذي اخبر البحترى قائلا: (( أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام. فقم إليه )) (١٦) وإذا (صح ان القصيدة التي مدح بها البحترى ابا سعيد كانت في سنة ٢٣١ هجرية كما يؤرخها شارح ديوانه فمعنى هذا ان البحترى كان في الخامسة والعشرين من عمره. وهو على هذا لم يكن أول أمره بالشعرونباهتة فيه. إذا ما علمنا انه عاجلة وهو حدث صغير . فهو قد استوى شاعرا مهما حتى ادعى ابو تمام - وهو الشاعر الطائر الصيت ان ما انشده كان من شعرة )) (١٧).

أما الاصبهاني فقد أكد عدم هذه المعرفة ولكن بطريقة معاكسة لرواية الصولي : إذ نجد ابا تمام لا يعرف البحترى من خلال قوله ((حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك)) (١٨).

وكلتا الروايتين لم تؤرخا ما جعل العلاقة وبيداتها موضع تأمل وشك. وإذا تجاوزنا عدم معرفة البحترى بأبي تمام . وأبي تمام بالبحترى فإن مجلس ( ابن سعيد الثغري ) لم يكن مجلس تعارف بين الشاعرين كما تشير الروايتان على اختلاف منطوقيهما . وإنما هو مجلس تنازع وتنافس وإتهام بعضهما البعض في نسبة قصيدة من القصائد سواء كانت القصيدة للبحترى أم لابي تمام فإن نسبتها لأي منهما يؤكد وجودهما في ذلك المجلس غير أن ما رواه الأمدي مستندا على (ابي وضاح) بان القصيدة لم تكن ( قافية الروي ) كما اشار إليها الصولي والاصبهاني . بل هي ( عينية ) وسواء أكانت القصيدة عينية أو قافية لا يغير من الامر شيئا.

وما يسهل توجيه الشك بل النقد إلى تلك الروايات إن مجلسا أو محفلا يتبارى فيه الشعراء - كبار الشعراء - لم يتمكن حاضروه من توثيق قصيدة يتنازع عليها اثنان . فلو كان فعلا هنالك لقاء . وهنالك تنازع وهنالك قصيدة لاتفقت الروايات عليها . فالاختلاف على القصيدة احد أسباب الشك في وجود القصيدة المزعومة حسب بل اللقاء المفترض.

- أما روايتا الصولي والاصبهاني ( الثانية ) فإنها تفتقر إلى ما يعزز صحتها ووجودها وذلك لعدم ذكر زمن اللقاء وتاريخه . كما أن ابي تمام لم يكن واليا أو ذا سطوة على أهل معرفة النعمان كي يتشفع للبحترى لديهم.

وما ينسف صحة تلك الرواية هي تلك الديباجة المهيبة للبحترى وقد أنطوت على اساءة مباشرة لشخصه حينما ذكرت عبارة ((وهو - على بذاته - شاعر فاكرموه)) (١٧). فهل يعقل أن يرتضي البحترى بحمل رسالة تؤكد رئائته؟! هذا من جهة . ومن جهة أخرى هل يعقل أن ابا تمام الشاعر الذواقه صائغ العقود الشعرية أن يتكلم بلغة خط من قدر صاحبه؟! فضلا عن أن الكتاب الاستعطافي لابي تمام لم يتضمن أية إشارة لمنزلة البحترى أو وجود علامة صحبة معه.

ولهذا فإن القراءة المتأنية لمضمون هذا (الكتاب) يؤكد انتحاله وهو من نسج أنامل ماهرة احترفت نسج الروايات الأدبية وهي تنتصر لابي تمام عبر الخط من شأن البحترى . فليس معقولا أن

كالصولي والامدي مع ما بينهما من اختلاف لم يذكر (الوصية) وهما أقرب النقاد والمهتمين بالشاعرين.

إن فحوى الوصية المزعومة يشير إلى أنها موجهة لشاعر مبتدئ لا يدرك متى ينظم الشعر وكيف ينظمه ((أبا عبادة: تخير الأوقات وأنت قليل الهموم. صفر من الغيوم. واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر؛ وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة. وقسطها من النوم)) (٢٨) وقد يكون هذا مسوغا لكنه مستغرب حين يوجه لشاعر كالبحتري. فالبحتري شاعر ذاع صيته. وقد يكون خليفة لأبي تمام فإن مخايل الموهبة والقي الإبداع اللذين اتسمت بها شخصية البحتري كان ينبغي أن تمنع أبا تمام من توجيه الوصية له. إن كان فعلا توجد (وصية) لأبي تمام. فشاعر كالبحتري لا يحتاج إلى مثل هذه الوصية. فالشعراء يصبحون شعراء بفضل مواهبهم وصفاء قرائحهم فضلا عن مدرسة الشعر واستحياء محاسنه.

إن موضوع (الوصايا) وهو جنس أدبي حفل به تاريخ الأدب العربي من عصر ما قبل الإسلام حتى عصرنا الراهن. له غايات تربوية (٢٩) ودينية وسياسية كوصايا لقمان لابنه. والامام علي (عليهما السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) ولعل الشعراء الجاهليون وشعراء صدر الإسلام وشعراء

العصر الأموي والعصر العباسي حتى كتابة هذه الوصية كانوا شعراء أغلبهم بلا وصايا وحملوا راية الشعر من امرئ القيس مروراً بعمر بن أبي ربيعة وبيشار وأبي نؤاس وغيرهم. فلم يتألق هؤلاء الشعراء تحت تأثير وصية كتبها شاعر متمرس

لاخر حديث العهد بالشعر كما يزعمون. في هذه (الوصية). ومن الغريب أن هذه الوصية قد مرت على كثير من الدارسين والباحثين (١٢) وكأنها مسلمة من المسلمات فلم يتعرض لصحة نسبتها إلى أبي تمام احد. فإن ما ذكره أبو تمام في هذه الوصية لم يلتزم به في شعره فلم يذهب فيه إلى المعاني الرقيقة والالفاظ الرشيقية. وفيما يتعلق ((بالتشبيب فإن أبا تمام لم يتفنن بالحسن إلا قليلا وحظه من صد اللوعة ضئيل)) (٣١). فإن أجواء الوصية ومقاصدها ينسجم مع منهج البحتري ومنحاه الشعري وكان مضامينها قد استخلصت من نتاج البحتري وقد كتبت في مرحلة لاحقة لهذا النتاج فهي خلاصة لما هو كائن وليس وصية لما سيكون وهذا ماذهب إليه د. يونس السامرائي بقوله ((وأغلب الظن أن هذه الوصية لم تصدر عن أبي تمام لأنها بعيدة كل البعد - في محتواها - عن شعره وخصائصه. ولو كانت صادرة عنه. لكان هو أولى من غيره بتطبيق ما جاء فيها ويخيل ألبنا أنها وضعت بعد استقرار شعر البحتري. لأنها تمثل إلى حد بعيد كثيرا من خصائص شعره التي عرض بها)) (٣٠)

إن اختلاف منهج الرجلين فنيا بوصفهما رأسي مدرستين توضحت معالمهما عبر نتاجهما الشعري فمن المعروف أن أبا تمام يمثل مدرسة هي اميل إلى التغلغل في دقائق الفكر

على علاقة حسنة. ويعضد هذا الرأي اختلاف الشاعرين في خصائصهما الفنية واتجاهاتهما الشعرية (٢١)

وإذا أخذنا ما قاله الامدي في هذا الصدد ((أما الصحبة فما صحبه ولا تلمذ له. ولا روى ذلك أحد عنه. ولا نقله. ولا رأى قط أنه محتاج إليه)) (٢٢). فهذا دليل واضح على نفي الصحبة أو التلمذة على يدي أبي تمام جاعلا من قصيدته التي كان مطلعها: (أفاق حب من هوى فافيقا؟) دليلا على ارتفاع كلمة البحتري الشعرية وعدم حاجته لمثل هذه التلمذة إذ يقول الامدي ((من يقول هذه القصيدة التي هي من عين الشعر وفاخر كلامه. وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر يستغنى عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر)) (٢٥).

إن قضية صحبة البحتري لأبي تمام قد اشترك في تصويرها الرواة والنساخون بما اضافوا إليها من أخبار لاسيما إخبار الصولي الذي اتهم ((بالتعصب لأبي تمام وهو الذي يجب أن ترفض الكثير من أحكامه بل ومن اخباره لوضوح هواه وفساد ذوقه وكثرة ادعائه)) (١١). وقد ترى ((الانصار البحتري حينا. وانصار أبي تمام حينا اخر اصعبا في اختلاقيها ووضعها. رغبة في رفع من يتعصبون له. ونحن... قد نشاركهم في هذا الشك (٢٦). ولهذا فإن ما وصلنا من روايات حول تلك العلاقة لم يعد سوى افاصيص أدبية حبرها كتاب مهرة ليسدوا حاجة سوق الوارفين عهد ذاك إلى مثل هذا اللون من الأدب. وليس مستغربا نسج مثل هذه الافاصيص في تاريخ ادبنا العربي نساج قصة قيس بن اللوح (مجنون ليلى) وقد ذهب الدكتور طه حسين إلى إنها غير واقعية ومختلفة (٢٧)

جـ / نقد الوصية:

إن بعض الروايات تحمل عوامل ضعفها بداخلها سواء في اللغة التي كتبت في مضمونها وغايتها. فالوصية الموجهة من أبي تمام إلى البحتري لم ترتق إلى مستوى وصية صادرة من شاعر كبير كأبي تمام فهي عبارة عن وصايا لتنظم الشعر لم تكن بعيدة عن أذهان المشتغلين بهذا الميدان. فليس من المعقول أن تفتن هذه الوصية بأبي تمام وهو صاحب البيان الساحر والمؤثر كما أن البحتري ليس في المستوى الذي يحتاج إلى هذه الوصية لاسيما وأن بعض الروايات تؤكد إشادة أبي تمام به بوصفه (أمير الشعراء بعده غدا) فالذي يصل إلى هذه المرحلة قد تجاوز مرحلة التعليم والمدارس للشعر. فالبحتري هو مدرسة متفردة ومتميزة في ذلك العصر تضاهي مدرسة أبي تمام الشعرية.

ومن الغريب أن ما روي عن وصية أبي تمام للبحتري (الوصية النقدية التوجيهية) لم تذكرها المصادر المشرقية وإنما اختص بها المغاربة كالحصري. وابن رشيق القيرواني. وكان الأولى بالمشاركة لو كانت هذه الوصية صحيحة لتناقلتها المصادر المشرقية ووثقتها. بما يطرح تساؤلا عما استندت عليه الرواية المغربية من مصادر فهي مقطوعة السند. وهؤلاء (الحصري وابن رشيق متأخرون عن عصر البحتري وأبي تمام زهاء قرن من الزمن. في حين من اعتنى بجمع شعر الشاعرين وأثارهما

من عشرة قرون.  
في كل ما قرأناه من روايات نجد أن الباحثي كان مظلوماً وان  
أغلب تلك الروايات كانت منحازة لأبي الهيثم . نعيم المظهر .  
مستضعفاً تابعا لأبي تمام تمام . وذلك من خلال اظهار الباحثي  
ديميم.

### الهوامش

- ١- في مقدمة تحقيقه لـ (اخبار الباحثي): ٧.
- ٢- ينظر: حياة الباحثي وفنه: ٥٤-٥٥.
- ٣- ينظر العصر العباسي الثاني : ج ٢٧٢/١.
- ٤- ينظر مقدمة (شرح الصولي ديوان أبي تمام): ج ٢١/١.
- ٥- في مقدمة تحقيقه لـ (ديوان الباحثي): ج ١٢/١-١٣.
- ٦- ينظر الباحثي في سامراء: ١٠-١٤.
- ٧- إخبار أبي تمام: ١٠٥-١٠٦.
- ٨- نفسه: ٦٦.
- ٩- الأغاني: ج ٤١: ٤٢.
- ١٠- نفسه: ج ٤١: ٤٠. وينظر وفيات الاعيان ج ٢٢/١-٢٣.
- ١١- نفسه: ج ٢١: ٤٢.
- ١٢- نفسه: ج ٢١: ٤٨.
- ١٣- الموازنة بين أبي تمام والباحثي: ج ١٢/١-١٣.
- ١٤- نفسه: ج ١: ١٣.
- ١٥- زهر الاداب وثمر الالباب : ج ١٥٢/١. وينظر العمدة في  
مجلسن اهل الشعر: ج ١١٤/١-١١٥.
- ١٦- ينظر اخبار أبي تمام: ١٠٦.
- ١٧- الباحثي في سامراء: ١٠.
- ١٨- الأغاني: ج ٢١: ٤٢.
- ١٩- اخبار أبي تمام: ٦٦. وينظر الأغاني: ج ٢١: ٤٠.
- ٢٠- ينظر: الأغاني: ج ٢١: ٤٢.
- ٢١- نفسه: ج ٢١: ٤٨.
- ٢٢- ينظر اتجاهات الشعر في العصر الأموي: ٢٦٨.
- ٢٣- الباحثي في سامراء: ١١.
- ٢٤- الموازنة: ج ١٢/١.
- ٢٥- نفسه: ج ١: ١٢.
- ٢٦- النقد المنهجي عند العرب: ١٠٣.
- ٢٧- حياة الباحثي وفنه: ٥٤.
- ٢٨- ينظر من تاريخ الأدب العربي: ج ٥٠٦/١-٥٠٧.
- ٢٩- زهر الاداب: ج ١٥٢/١.
- ٣٠- ينظر جواهر الأدب: ج ١٦١/٢-١٩٠.
- ٣١- ينظر النشر الفني في القرن الرابع: ج ٢٢/١.
- ٣٢- أحمد شوقي: ١١.
- ٣٣- الباحثي في سامراء: ١٢-١٣.
- ٣٤- ينظر العصر العباسي الثاني: ٢٨٧-٢٨٨.
- ٣٥- مقدمة ديوان الباحثي: ج ٣١/١-٣٢.
- ٣٦- نفسه: ج ٣٢/١.
- ٣٧- ينظر نفسه: ج ٣٢/١.

والأخيلة بحكم ثقافته الفلسفية لذا شاع في أشعاره  
الغموض والتعقيد. وهذا يخالف مبدأ السهولة والوضوح  
التي سار عليها (الباحثي) (٣٣). فكيف يمكن لنهجين شعريين  
مختلفين ان يلتقيا ؟ وإين علامات تأثر التلميذ بخطى أستاذه  
أبي تمام الذي توعد له ان يكون امير الشعراء بعده غدا؟!  
وقد وقع الدكتور عمر فاروق الطباع في حيرة حين طرح مسألة  
تتلمذ الباحثي على يدي أبي تمام قائلا: « ويروى أن أبا تمام وضع  
بين يدي الباحثي مبادئ يتمشى عليها في نظم الشعر  
فكيف تعلل إذا مخالفة الباحثي لأستاذه أبي تمام (٣٤)؟ إذ  
لم يتمكن الباحثي من مجاراة أبي تمام في « توليد المعاني  
أو بالاحرى في تعقيد المعنى وتلوين الشعر بمختلف الصبغ  
الفكرية واصطناع الثقافة الفلسفية » (٣٥)  
وقد لا تتفق مع الدكتور عمر فاروق حين يرى تأثر الباحثي  
بصناعة أبي تمام فادخل على شعره جوانب من البديع كالطباق  
والجناس كما عني بالزخرفة اللفظية على نحو عام (٣٦). ونحن  
نرى ان البديع وهو منحى فني قد وسم تاريخ الشاعر العربي  
كله فليس من العسير ان نلاحظ المحسنات البديعية لدى  
شعراء العربية منذ الجاهلية وحتى وقتنا الراهن وان تفاوتت  
مساحة البديع في قصائدهم.

### الاستنتاجات

يبدو على طرافة الموضوع وجدته فقد كان هاماً في نتائجه  
كما أزعج. وتتسم دراسته بشيء من الجدية نظراً للنتائج التي  
تمخض عنها البحث الشك بالصحة والتلمذة والوصية. وقد  
تكون مخالفة لما جاءت بها الدراسات السابقة التي أشرت  
إليها في ثنايا الدراسة  
ان نفي هذه الصحة والتلمذة جاء تعزيزاً لرأي (الأمدي) من  
القدماء. (وأحمد بدوي) من المعاصرين. وقد استند هذا الشك  
على ما اتصفت به الروايات من اضطراب واختلال وتناقض في  
أسانيدھا ومنھما ولغتها.  
كان خلو ديواني الشعاعين من اية إشارة إلى تلك الصحة أو  
التلمذة كان واحداً من أهم الأدلة على انتفاء هذه الصحة .  
فلو كان بين الشعاعين تلك الصحة والعشرة والتلمذة . لما خلا  
ديوان الباحثي من قصيدة ( رثاء ) لأبي تمام . فان دواوين الشعراء  
هي مرآة حياتهم . ومجسدة لأهم الأحداث والشخصيات التي  
تلقي بظلالها على تلك الحياة.  
ولعل اختلاف منهج الرجلين فنيا يأتي ضمن الأدلة التي تؤكد  
عدم وجود صلة ( تأثير وتأثر ) بينهما فهما زعيما تيارين أو  
مدرستين مختلفتين في الشعر العربي وان ما أشار إليه بعض  
الدارسين من وجود ميل لدى الباحثي نحو المحسنات البديعية  
بوصفه متأثراً بابي تمام . فان وجود تلك المحسنات لدى شعراء  
سبقوا ابا تمام زمنيا وتباعد عصرهما يؤكد إمكانية وجود  
هذا اللون من الصياغة الشعرية لدى الباحثي أسوة بغيره من  
الشعراء . فان تأثر ( الجواهري ) بأسلوب ( المتنبي ) لا يعني تتلمذ  
الجواهري على يد المتنبي أو صحة بين الرجلين وبينهما أكثر



## المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات الشعر في العصر الأموي. د. صلاح الدين الهادي. مكتبة الخالجي، القاهرة. مطبعة المدني، ط١، ١٩٨٦م.
- ٢- أحمد شوقي، بقلم د. زكي مبارك. تقديم: كريمة زكي مبارك، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨م.
- ٣- إخبار أبي تمام، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت: ٣٣٥هـ)، بقلم: أحمد أمين، (د. ط)، (د. ت).
- ٤- إخبار البحتري، للصولي (ت: ٣٣٥هـ) وبآخرها ذيل الأخبار من رواية الصولي، خ: د. صالح الاشتري، ط٢، ١٣٨٤-١٩٦٤.
- ٥- البحتري في سامراء، يونس أحمد السامرائي / مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٠.
- ٦- الأغاني، لأبي الفرج الاصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، ج: ٢١، خ: عبد الكريم إبراهيم الغرياني، ومحمود محمد غنيم، إشراف أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة مجال للطباعة والنشر، بيروت.
- ٧- جواهر الأدب في (أدبيات وإنشاء لغة العرب)، السيد أحمد الهاشمي، ج: ١- ٢، (د. ط)، (د. ت).
- ٨- حياة البحتري، أحمد أحمد بدوي.
- ٩- ديوان البحتري، خ: د. عمر فاروق الطباع، ج: ١، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، لبنان.
- ١٠- زهر الآداب وثمر الآلباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤٥٣هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج: ١- ٢، خ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٤، بيروت.
- ١١- شرح الصولي لديوان أبي تمام، د. خلف رشيد نعمان، ج: ١، وزارة الإعلام، ط١، العراق.
- ١٢- العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، مكتب الوطن للطباعة والترجمة، ط٢، بغداد.
- ١٣- العمدة في محاسن أهل الشعروادابة ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، خ: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٣، (د. ت).
- ١٤- من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي)، د. طه حسين، ج: ١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٠.
- ١٥- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، لبشر بن يحيى الأمدي (٣٧٠هـ)، خ: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٣، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- ١٦- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ج: ١- ٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
- ١٧- النقد المنهجي عند العرب (ومنهج البحث في الأدب واللغة)، د. محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د. ت).
- ١٨- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، خ: د. إحسان عباس، ج: ٢، دار الثقافة، لبنان (د. ت).